المحاضرة السابعة:

التفاعلية الرمزية(قوفمان،بيكر، أرلي رسل هوشيلد، باتريشيا هل كوليتز):

أولا-التعريف بالنظرية الفاعلية الرمزية:

تعد التفاعلية الرمزية Symbolic interactions، إحدى المنظورات السوسيولوجية الأساسية المعاصرة، التي تهتم بتحليل الأنساق الاجتماعية الصغرى، فهي تدرس الأفراد في المجتمع، ومفهومهم عن المواقف، والمعاني والأدوار، وأنماط التفاعل وغير ذلك من الوحدات الاجتماعية الكبرى، مثل المنظور الوظيفي ومنظور الصراع. ليشير بذلك مصطلح التفاعلية الرمزية، على الخاصية المميزة والفريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس، وما يجعل هذا التفاعل فريدا هو أن الناس يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم بدلا من الاستجابة المجردة لها، إن استجابتهم لا تضع مباشرة، وبدلا من ذلك تستند إلى المعنى الذي يلصقونه بأفعالهم . وتنتمي هذه النظرية إلى النزعة السلوكية الاجتماعية، وللنزعات الاجتماعية النفسية التي تعود جذورها إلى مجموعة من علماء مدرسة شيكاغو، وإلى التصورات في الثلاثينيات من القرن العشرين على يد جورج ميد الذي يعتبر أول من تبنى المدخل التفاعلي في دراسة المجتمع، وربط فكرة الذات الفاعلة بعالم الرموز واضعا الأساس النظري للتفاعلية الرمزية.

ليشير التفاعل الرمزي؛ إلى عملية التفاعل الاجتماعي التي يكون فيها الفرد على علاقة واتصال بعقول الآخرين، وحاجاتهم ورغباتهم الكامنة ووسائلهم في تحقيق أهدافهم، ولقد استخدم هذا المفهوم في البداية؛ وذلك تميزا لنمط من العلاقات الاجتماعية، وكذلك لتفسير بعض الملاحظات الخاصة بالإنسان، وسلوكه في تفاعله مع غيره من أعضاء جماعته، ومجتمعه في ضوء الرمز Symbols، والمعاني Meanings. حيث يذهب أنصار التفاعلية الرمزية إلى أن الذات هي الموضوع الأساسي أو الوحدة الجوهرية للتفاعل، فالذات تحمل في طياتها كما هائلا من التفسيرات المختلفة والمعاني المختلفة للموضوعات.وهذه المعاني التي يضيفها الأفراد على الموضوعات، تظهر بصورة تلقائية أثناء عملية التفاعل ، حيث يهتم منظرو التفاعلية الرمزية بالمعاني Meanings التي يعطيها الناس لسلوكهم، ومعنى الرموز عن طريق الاتفاق بين أعضاء الجماعة، وتشير

التفاعلية الرمزية إلى معنى الرمز والأشياء التي ترمز إلى شيء آخر، أو يكون لها معاني أعمق من الجانب السطحي للرمز، على اعتبار أنها القدرة التي تمتلكها الكائنات الإنسانية للتعبير عن الأفكار باستخدام الرموز في تفاعلاتهم مع بعضهم البعض؛ إذ يستخدم الرموز للتعبير عن شيء له دلالة اجتماعية، تلعب دورا أساسيا في خلق وإضفاء معاني على الموضوعات الخارجية، باعتبارها وسيلة الذات في التعرف على العالم.

إن التفاعلية الرمزية توجه انتباهنا إلى تفصيلات التفاعلات الشخصية، والطريقة التي يتم بها هذه الترتيبات لإعطاء المعنى لها بقوله وبفعله الآخرون، وينوه منظرو هذه المدرسة بالدور الذي تؤديه هذه التفاعلات في خلق المجتمع ومؤسساته، وأثناء حياة الفرد؛ يتم تطبيق الذات على مجموعة الرموز والمعاني السائدة في المجتمع، ويتحدث التفاعليون الرمزيون هنا عن مفهوم إيواء الذات Self lodging، والتي يتم من خلالها ترجمة الذات، أو جزء منها إلى ذوات وذكريات ومخيلات الآخرين، ويعني ذلك أن عملية إيواء الذات، تتيح للفرد أن يخلق ضربا من التوافق بين ذاته وذوات الآخرين، أو بين ذاته ومجموعة المعاني التي يتفق عليها كل الأفراد داخل المجتمع، وبذلك يتجاوز الفرد رغباته وعواطفه، ويوحد بين ذاته وذوات الآخرين، بحيث لا يتعارض سلوكه مع سلوكهم، وفي هذه الحالة فإن مجموعة من العادات والتقاليد، لابد أن تنشأ للتحكم بسلوك الأفراد طالما خضع كل منهم لعملية إيواء الذات هذه، ويصبح السلوك اجتماعيا أكثر وأشمل من السلوك القائم على الدوافع الفردية . ولهذا يفرق التفاعليون الرمزيون بين نوعين من السلوك:

1- السلوك الذي يستخدم الرموز؛ ويخضع لها بطريقة روتينية بحتة، قائمة على العادة تقريبا.
2- السلوك الواعي الموجه نحو تحقيق هدف معين، من خلال وسائل معينة

كما تقوم التفاعلية الرمزية؛ على ثلاث فرضيات أساسية، يمكن إيجازها فيما يلي:

1- إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.
2- هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.
3- وهذه المعاني تحرر وتعدل، ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها

ولتحقيق هذه الفرضيات؛ وضع التفاعليين الرمزيين قواعد منهجية، تلتقي مع الاتجاهات الفينومينولوجية والإثنوميتودولوجية، في محاولتها المنهجية تخطي الحدود الفاصلة، بين الأفراد وبين ذات الباحث وموضوع بحثه، ودراسة المواقف الاجتماعية كما يتصورها هؤلاء الأفراد، ويمكن تلخيص هذه القواعد المنهجية للتفاعلية الرمزية فيما يلي:

- ربط السلوك الضمني (الكامن) Cavert بأنماط السلوك الظاهر Overt، فالباحث يجب أن يبدأ من أنماط السلوك الظاهرة، ثم يحاول الكشف عن المعاني التي يطبقها الفاعلون على هذه الأنماط السلوكية.
- يركز الباحث على الذات كموضوع وعملية في نفس الوقت، فيدرس السلوك من وجهة نظر الأفراد الذين يدرسهم، موضحا تحول الذات عبر المعاني المختلفة في المواقف السلوكية المختلفة.
- يحاول الباحث بعد ذلك أن يربط الرموز والمعاني التي يستخدمها الأفراد، بالدوائر الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية الأوسع وإلا ظل التحليل عند مستواه السيكولوجي.
- إذا كان السلوك يظهر داخل " موقف "، وإذا كان المعنى الذي يضفي على هذه المواقف يؤثر على أنماط السلوك اللاحقة، فإن التحليل الموقفي يجب أن يكون عنصرا أساسيا في الدراسة (تتضمن عناصر الموقف: الفاعلون كموضوعات، مميزة التفاعل أو مكانة المعاني التي تظهر في الموقف، والوقت الذي يستغرقه التفاعل).
- إذا كان التفاعل الرمزي يتميز بأنه تفاعل مستمر ومتغير في نفس الوقت، فإن استراتيجيات البحث يجب أن تغطي كلا الجانبين من التفاعل

ثانيا-إرفنج جوفمان والفن المسرحي ونظام التفاعل:

يعتبر إرفنج جوفمان **Erveng Goffman** (1922-1982)، واحد من أكبر علماء الاجتماع الذي ساهم كثيرا في التقدم الفكري، بفضل دراسته السوسيولوجية والتعمق في دراسة مؤلفات هربرت ميد Herbert Meadeوفرويد Freudوراد كليف براون Rad Cliff Brownودوركايم وزيمل، وعمل على توسيع نظرية التفاعلية الرمزية سواء من حيث الإطار التصوري أو المنهجي والدراسات الميدانية، التي قام بإجرائها للتأكد من المسلمات التي تقوم عليها التفاعلية الرمزية، هذه الإسهامات التي ارتبطت بالنشأة التطورية والأكاديمية لجوفمان، الذي حصل على درجة البكالوريوس من جامعة تورينو 1945، وحصل على درجة الدكتوراه وقبلها الماجستير من جامعة شيكاغو في 1949 وعام 1953، وبعد فترة وجيزة من إكمال أطروحته، انظم جوفمان

إلى أستاذه السابق هربرت بلومر Herbert Plummerفي جامعة كاليفورنيا في بيركلي، ودرس فيها حتى عام 1969، ومن ثم رضي بالعمل في موقع مثل بنجامين للإنثربولوجيا وعلم الاجتماع في جامعة بنسلفانيا، ودرس هناك حتى توفي في عام 1982.

وترتبط تحليلات جوفمان؛ بمبادلاته المعمقة في دراسة مؤلفات فرويد وراد كليف براون، وبتحليلات أستاذه بلومر ومؤسس التفاعلية الرمزية ميد، الذي تأثر به كثيرا بتركيزه على مفهوم الذات في كتابه الموسوم، "بتقديم الذات في الحياة اليومية" عام 1959 "The Presentation of self in Every day life"، والذي شكل الكثير من أعماله اللاحقة، وبنفس الطريقة التي اتبعها ميد، يعامل جوفمان البشر باعتبارهم فعالين ونشطين وأذكياء، وفي كتابه الموسوم "بالوصم Stigma" ، يلقي الضوء على إبداعية الأشخاص المنحرفين والموصومين، الذين تدبروا الحفاظ على معنى الذات، عندما كثر المستهزئون بهم ورفعت الأوراق ضدهم .

كما تأثر بدوركايم وبشكل محدد تحليله للطقوس، والتي ظهرت في العديد من أعماله التي طبعها في كتاب بعنوان" طقوس التفاعل"، كما أن براعته في تجسيد المفاهيم السوسيولوجية، في وصفه لتفاعلات الوجه للوجه كانت بالفعل تمثل لكل ما يذكر بجورج زيمل، وكلها أعمال ساهمت بشكل كبير في توسيع نظرية التفاعلية الرمزية، وخاصة إسهاماته الأساسية في نظريته حول " فن المسرح" التي طورها في الخمسينيات من القرن الماضي، هي نظرة شكسبيرية للمجتمع من خلالها الاجتماعي، هو فعل ممسرح من طرف الممثلين الاجتماعيين أنفسهم، ومن خلال ذلك فإن المجتمع هو عبارة عن قطعة مسرحية أو مسرح ، والتي سنحاول مناقشتها بإيجاز فيما يلي:

- **الفن المسرحي والحياة اليومية** :لقد تناول جوفمان؛ في كتابه المميز" تقديم الذات أو النفس في الحياة اليومية"، لغة المسرح وتصوراته في تحليل سوسيولوجي، لمفهوم الدور الذي يماثل تطور الأداء المسرحي، معتبر المسرح كنموذج لفهم الحياة الاجتماعية، بفضل تحليل السلوك الإنساني في المكان المسرحي، بنفس الطريقة التي يقوم بها الفرد بتحليل عرض المسرحية إلى الجمهور، وينظر إلى الفاعلين في حياتهم الاجتماعية، على أنهم متماثلون تماما مع الممثلين على المسرح ، الذي تقوم به مجموعة من الأفراد بدءا من الذات أو النفس، وما تتضمنها من معاني ورموز وأشكال وتغيرات، حتى إيماءات الوجه والتغيرات جميعها تعكس دور الفرد في الحياة اليومية، والتي تشبه دور الممثل على المسرح الذي قد يستخدم أحيانا الإيماءات اللفظية، وأيضا

الكثير من النصوص التي تترجم في الألفاظ، ومن ثم فإن جوفمان يحاول أن يوضح طبيعة التفاعل الاجتماعي، ويحددها بأنها نوع من لعبة المعلومات، حتى يحاول كل فرد أن يتحكم في تغيراته، ولكن في نفس الوقت يسعى إلى اختراق انطباعات الآخرين Impression of others، وذلك من أجل التوصل إلى حقيقة جوهر مشاعرهم وأهدافهم .

لقد عرض جوفمان في كتابه المميز، " تقديم الذات أو النفس في الحياة اليومية" كنموذج أو المدخل المسرحي، الذي يتم فيه تحليل السلوك بنفس الطريقة التي يقوم بها الفرد بتحليل عرض المسرحية على الجمهور، معتبرا أن المبادئ أداء النفس بمثابة نوع من التأليف المسرحي، الذي أطلق عليه بمنظور الفن المسرحي Theatre art prespective، وهو بمثابة منظور الأداء أو الدور الذي يطبقه على خشبة المسرح، عن طريق تحليل السلوك الإنساني في المكان المسرحي، الذي يعتبره كنموذج لفهم الحياة الاجتماعية، ونظرا للفاعلين في حياتهم الاجتماعية على أنهم متماثلون تماما مع الممثلين على المسرح، فمن خلال ما يقوم به الممثل في تأدية لدوره على خشبة المسرح، ويقدمه بطريقة متميزة يستطيع من خلالها أن يعكس دوره على الآخرين، ممن حوله في المسرح؛ والذي يطلق عليهم الجمهور أو المتفرجون، تلك الطريقة التي يحرص فيها الممثل على أن يعبر عن أفكاره، ويوصلها لهم في هذا الدور.

وقد كان اهتمام جوفمان، منصبا على الطرق التي يقدم الأفراد من خلالها أنفسهم في الحياة اليومية، فنشاطاتهم الموجهة نحو الآخرين، والذي يركز على الطرق التي يوجه الفرد من خلالها، ويضبط الانطباعات التي يشكلها الآخرون عنه؛ وهو ما أسماه بإدارة الانطباع، كما يستخدم جوفمان مفهوم الواجهة Front-stage ، التي تشير إلى الجزء من الأداء الفرد الذي يعمل بصورة منتظمة ضمن طريقة عامة، وثانية من أجل تعريف الموقف لأولئك الذين يشاهدون الأداء، مستخدمين ما يستعان به من الإخراج المسرحي من لغة ولوك، ويصمم الملابس ، الأثاث ... وكل ما يتضمن المشهد المسرحي والواجهة الشخصية. ومن بين مفاهيم الفن المسرحي التي يستخدمها جوفمان إلى جانب الواجهة، نجد مفهوم المنطقة الخلفية Back Region، والتي تمثل المكان الذي يغلق ويحجب عن الجمهور، حيث تمارس طرق إدارة الانطباع، الكثير من أشكال المساعدة تقضي للفاعلين في منطقة المنصة الخلفية، مثلا: التكيف مع العادات والتلقين، كما أنها تمثل المكان الذي يكون فيه المؤدى متحررا من القيود، وكما يوضح جوفمان أنه يستطيع أن ينزع واجهته وأن يحضر نصه بصوت مرتفع،

وأن ينزع شخصيته المسرحية. إن المنصة الخلفية هي: المنطقة التي لا ينخرط فيها الفاعل في عملية إدارة الانطباع، حيث يستطيع أن يكون ذاته الحقيقة

•**نظام التفاعل:** يعتبر نظام التفاعل The Interction order من الأعمال الأخيرة لجوفمان، والذي نشر في مجلة American Sociological، والذي يشير فيه إلى مجال التفاعل الاجتماعي وجها لوجه، حيث يكون فردان أو أكثر ضمن الحضور الفيزيقي لبعضها والذي يظهر في:

- **أساليب التعبير الذاتي:** أي أوجه عرض ذوات الفاعلين أثناء تعاملهم أو اجتماعهم، وطرح نماذج من صورأنويتهم أثناء التفاعل، يستحيل هذه النماذج الأنوية كما يعرفها المتفاعلين، وكما يراها كل منهم للآخر وليس كما يراها متفاعل واحد أو ملاحظ واحد.
- **ظرفية التفاعل:** أي زمن التفاعل وما يتضمنه من مؤثرات وشروط تحكم في وضعية التفاعل، وما يخرج أو يستخرج منها من مفاهيم إجرائية لها الأثر الناشط في توجيه سلوك المتفاعلين.
- **إستراتيجية التفاعل:** أي ما تتضمنه عملية التفاعل من مداهنة ومحانكة ولف ودوران وروغان، وإستغفال وإستنكار بين المتفاعلين.
- تعابير الوجه التي تشمل حركات العيون، والحاجب والجبهة والشفة والرأس، فضلا عن التعابير الصوتية واللفظية، عند تقويم أو رفض أو قبول أو تحجب، أو استنكار لموقف معين أو لشخص معين.
- **الكنية الاجتماعية (الوصم الاجتماعي):** التي تعني خلاصة التقويم؛ المتمثلة في تحديد وإطلاق رمز اجتماعي يصل إليه الفاعل، عندما يصف ماهية وأخلاقية أو سلوكية المتفاعل معه.

كما عمل جوفمان؛ على توضيح نظام التفاعل الذي ينبغي أن يعامل كمجال جوهري وأساسي كمعيار مستقل، ويضع جوفمان بعض الوحدات الأساسية والبناءات المتكررة لنظام التفاعل مرتبة من الأصغر إلى الأكبر ،وهي:

- الأشخاص سواء كانوا أحاد أم أزواجا أم طوابير، أم مواكب، أم أرتالا،
- اتصالات: إما من خلال الحضور الفيزيقي المشترك أو من خلال المحادثات الهاتفية، أو من خلال تبادل الرسائل.
- المواجهات أو الترتيبات: التي ينظم فيها الأشخاص إلى دائرة فيزيقية صغيرة، كمشاركين واعين في مشروع مشترك قائم على الاعتمادية المتبادلة.

- منصة الأداء، وتشمل المكان الذي يهيأ فيه النشاط قبل الجمهور مثلا: المناقشة، سياق الكلام أو المحيط والاجتماع الرسمي (اللعب والعرض الموسيقي).
- المناسبات الاجتماعية الاحتفالية: وهي مجموع من الأفراد في مناسبة ذات شرف وتحظى بتقدير مشترك، حيث يصل المشاركون ويغادرون بطريقة منسقة، وهذه الوحدة الأخيرة تمثل الوحدة التفاعلية الأكبر التي يذكرها جوفمان، حيث أن هذه الوحدة يمكن أن يتم هندستها لتمتد إلى عدد من الأقسام.

كما يبين جوفمان؛ اتجاه جديد للبحث في نظام التفاعل، مستخدما النظرية التفاعلية الرمزية كنظرية ومنهج يقوم على المنظور الفني المسرحي، عندما اهتم بدراسة حول ضحايا الظلم والاضطهادات والجماعات المحرومة من حقوقها البشرية، وزلات السلوك الاجتماعي والأمراض العصبية والمدمنين على المخدرات، والمسجونين والمنحرفين والعاهرات، مركز على الناس في المواقع الخاضعة، ومعظم السلوكيات التي تتعارض مع معايير المجتمع، أو التي تنحرف عنها أو التي يتم تجاوزها أو كسرها، لذلك وجدناه يجمع معلومات كثيرة عن هذه النماذج الاجتماعية المنحرفة، لكي يبني نظريته الاجتماعية في الوصم الاجتماعي، لأن هدف نظريته هو الاستضاءة بمعرفة تأثيرات المجتمع، على انحراف أنوية (ذات) الفرد عن معايير وقيم المجتمع، من خلال ما يلصقه المحيط البشري بالذين تتزلزل ذواتهم عن معايير مجتمعهم، من كلام كثير ومقولات وثرثرة مستمرة .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يعيش في مواقع الخاضعة للمؤسسات والتنظيمات العامة، أو ما أسماه بالأنساق المقفلة نسبيا Realeively close system كالسجن والمعتقلات والمستشفى العقلي، وهذا ما ظهر في مؤلفاته المستشفيات العقلية، التي يظهر فيها أنماط التفاعل الاجتماعي، التي تعكس جوانب أخرى من التمثيل المسرحي ، ولكن تختلف هذه التفاعلات حيث يجبر أعدادا كبيرة من الأفراد على العيش في مكان واحد تحت السيطرة، يخضع فيها الأفراد إلى سلطة جديدة ونظام رقابي وضبط صارم، والتي تشعر بالفوقية وصحة الموقف، لتحليل الحياة الحقيقية أو غير الظاهرة داخل المؤسسات العامة، بشكل مرجعية الأسس التي تقوم عليها الخدمة في هذه المؤسسات، مع بيان أي حد يمكن أن تتعارض مصالح الجماعات المشاركة في هذه المؤسسات ، ومن ثم فإن المسافة الاجتماعية Social Distance بين الفئتين تكون مرتبطة بالطابع الرسمي، وتملك هذه المؤسسات قوة السيطرة فوق الطبقة الأخرى، وهذا ما يعكس لنمط التفاعل الرمزي .

ثالثا–هوارد سول بيكر Howard S. Baker:

1-نشأة هوارد سول بيكر:

يعتبر هوارد سول بيكر واحدا من أهم الشخصيات المؤثرة في تيار التفاعل الرمزي، ولد في عام 1928، وترعرع في شيكاغو، ودرس هناك درجاته العليا الثلاث كلها، وقضى غالبية حياته العملية في جامعة نيو ويسترن قبل انتقاله إلى جامعة واشنطن 1991، ويعيش حاليا متقاعدا في سان فرانسيسكو مع زوجته ديان هغماDiane Hagma، وهي مصورة فوتوغرافية، ترجع شهرة بيكر إلى دراساته في علم الاجتماع الانحراف، لكنه قام بالبحث والكتابة في مجالات أخرى، مثل التعليم والفنون والمنهجية النوعية، ويسعد بيكر كثيرا عندما يصف نفسه بأنه تفاعلي (Interactionist) فهو طالب متخرج من قسم علم الاجتماع في جامعة شيكاغو، ويشير دوما إلى أساتذته إيفرت س. هيغ Everett S. Highوهربرت بلومر Herbert Plummer.

2-أهم أعمال ومجالات اهتمام هوارد سول بيكر:

قد تكون أهم اعمال بيكر البحثية دراسته عن متعاطي الماريجوانا Marijuanaعام 1953 التي نشرت أولا في مقالة، ثم في كتاب Outsiders، ولم يكن هذا البحث يهدف إلى تقديم أي توصيات إجرائية بخصوص تعاطي المخدرات والسيطرة على الجريمة، لكن البحث كانت تدريبا في نظرية ومناهج التفاعل وكانت وجهة النظر السائدة في ذلك الوقت هي أن متعاطي المخدرات مجموعة مميزة من الناس لهم طباع نفسية مميزة، إذ رأى بيكر، على العكس من ذلك، أن أي شخص يمكنه أن ينزلق إلى هذه العادة، إذا مر بتجربة معينة من التفاعل، ويرى أن علماء الاجتماع يجب أن يدرسوا العملية الاجتماعية لكون المرء متعاطيا للماريخوانا كأي مؤشر آخر على الانحراف، وحدد بيكر ثلاث مراحل رئيسية، يمكن من خلالها أن يصبح الناس مؤهلين لتفهم شخصية منحرفة تتعاطى الماريخوانا : عليهم أولا أن يتعلموا فنيات التدخين، ثم تعلم كيفية استقبال تأثيرات العقاقير، وأخيرا تفسير المشاعر/ مثل اللذة.

مثلت هذه الدراسة حول استخدام المخدرات أساسا لوجهة نظر بيكر، حول علم اجتماع الانحراف المشار إليها غالبا باسمنظرية الوصم الاجتماعيأو نظرية التصنيف، لقد تطور هذا المنهج النظري في الستينيات استجابة للأنماط المألوفة في الجريمة التي كانت سائدة آنذاك، ويرى بيكر أن الانحراف ليس صفة موروثة في نوعيات معينة من الأفراد أو السلوك، لكنه وصم و تصنيف يرجع إلى من يكسرون القواعد في وضع اجتماعي معين، وهكذا، فإن الفعل نفسه يمكن أن يكون انحرافا في سياق ما، لكنه قد لا يكون كذلك في سياق آخر، لا

يسأل هذا التعريف النسبي للانحراف عن من هم المنحرفون؟ أو ما هو سلوك المنحرف؟، لكنه يتساءل: لماذا ينظر إلى نوعيات معينة من الأعمال بوصفها انحرافا في المقام الأول؟ ويسأل: منحرف بالنسبة إلى من ؟، وطبقا لأي معايير اجتماعية ؟، تركز نظرية الوصم الاجتماعيأو نظرية التصنيف على الطريقة التي تقود بها التفاعلات بين صناع القواعد وكاسري القواعد بعض الناس إلى التحول إلى شخصية منحرفة وتغيير شعورهم بالثقة في الذات، إن تصنيفات مثل لص أو مدمن مخدرات يمكن أن تولد وضعا قانونيا رئيسا يهيمن على الطريقة التي يرى بها الناس بعضهم البعض.

وهذه الطريقة في التصنيفات تكون هي أساس العودة بالشخص للانحراف، وذلك بسببتعرضه قبل مآله الأخير نحو الانحراف إلى وصمة اجتماعية انحرافيه، ساهمت في عدم رجوعه إلى الامتثال للقواعد السلوكية، مسهلة أمامه بذلك كل الظروف لينساق من جديد وراء مغريات عالم الانحراف. حيث في حالة العائد إلى الانحراف قد مر بمؤسسة القضاء ووجهت له عقوبة، فهو حتى عندما ينفذها، لا يزال ككائن اجتماعي متابعا من طرف هذه اللعنة الاجتماعية، وكأن الجزاء القانوني ليس كاف لدى أفراد المجتمع لتقبل توبة ذلك المنحرف السابق، فهو يظل مجرما إلى ما لا نهاية على الأقل لدى البعض منهم، وهنا يبرز التساؤل التالي:هل وضعية الموصوم بالصفة الإنحرافية، وما تتضمنه هذه الوضعية من ظروف نفسية واجتماعية واقتصادية سيئة ومنفرة ساهمت في توجيه الشخص التائب المنحرف السابق إلى معاودة الانحراف، كردة فعل على المغالاة في عقابه ونبذه من أن يتواجد ككائن إنساني داخل المجتمع؛ وذلك يتجسد لما توصد أمام التائب سبل وإمكانية إعادة الاندماج في المجتمع؟. من جهة أخرى، يمكن معالجة العود إلى الانحراف انطلاقا من افتراض أن الشخص المعاود للانحراف رغم أنه ارتكب بعد انحرافه الأول فعلا معاقب عليه مجتمعيا بصفة رسمية أو غير رسمية إلا أنه لم يتعرض للتصنيف ضمن المعاقبين. وعليه يمكن طرح السؤال التالي: هل يا ترى عدم تعرض الشخص العائد إلى الانحراف للعقاب الاجتماعي الذي يصنف في ضوئه على أنه منحرفا، وبالتالي يوصم بوصمة المنحرف هي ميزة شخصية يتصف بها ذلك العائد.

وكما عمل بيكر في مجال بحثي رئيس آخر، وهو "ثقافة الطلاب أو الطريقة التي يتآلف فيها الناس مع معايير وقيم الحياة الجامعية"، فأتم بالاشتراك مع بلانش جير Blanch Gear دراسة عن الطلاب في مدرسة طبية وجامعة، وفي مدارس تدريب مهني بعنوان Making the Grade boys in white and، وأظهر أنه بينما يشعر طلاب الكلية بدرجة من الاستقلال الذاتي بخصوص الطريقة التي ينظمون بها أنشطتهم السياسية والاجتماعية في الحرم الجامعي، إلا أنهم يشعرون بالعجز النسبي في التحكم بنجاحهم الأكاديمي، وأكد بيكر ومساعدوه أن مثل هذه المشاعر بالذاتية تؤدي إلى تطور ثقافة طلابية داعمة، تساعد هؤلاء الطلاب، صغار

السن، على التعامل مع الأمور المختلفة، وقد تحولت أوجه قلقهم إلى اهتمامات حول المقررات وإبقاء الدرجات عند المعدل المطلوب، وراجع بيكر الكتاب في العام 1955، وتناول تأثيرات تزايد البيروقراطية والإدارة في الحياة الجامعية.

ونشر بيكر في العام 1982 كتاب art worlds، وهو دراسة حول السياق الاجتماعي الذي ينتج فيه العمل الفني، وكان هذا يقوم على تجاربه الشخصية عازفا بيانو لموسيقى الجاز، ومصورا فوتوغرافي، وعلى بحثه العملي المطبق على رسامين وتجار أعمال فنية ومؤلفي موسيقى كلاسيكية وشعراء، ومحررين أدبيين، وكان توكيد بيكر هنا هو أن الفن نشاط جماعي، يرتبط بشبكة كاملة من الناس وبإفراد الفنانين، إن الأعمال النفسية التي ضمنت في هذه الدراسة المتعلقة بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك والفنانين قيدتها عوامل، توافر المواد، وتغير التكنولوجيات والأعراف الفنية وقواعد اللعبة التي تحكم إنتاجهم الفني، إن العمل النهائي للفن الذي يصل إلى الجمهور وهو لإنتاج عملية اجتماعية ممتدو من التفاوض بين أفراد آخرين في عالم الفن.

واصل بيكر، إلى جانب هذه الموضوعات الفرعية، اهتمامه بالبحث في المناهج ونظرية علم المعرفة، كما كتب حول فنيات الملاحظة التشاركية، والمقابلات، ودراسات الحالة والتخيل التصويرالرقمي، وكان من أوائل من ناقشوا تأثير الحاسبات الآلية في العمل الأكاديمي، ودخل عام 1967 في سجال مستمر مع ألفن وراد غولدنر حول قيمة الحرية في العلوم الاجتماعية، مؤكدا أن علماء الاجتماع لا يمكنهم ويجب ألا يسعوا إلى أن يكونوا موضوعيين ، وأكد في ورقته العلمية التي حملت عنوان:whose side are we on أن المصالح الشخصية تتشكل بصورة حتمية الطريقة التي يختار بها الباحثون موضوعات وقضايا دراساتهم، وهو الأمر نفسه الذي يجب أن يكون عليه الحال في العمل الاجتماعي، إن فكرة البحث غير السياسي أو المتحرر من القيم هي أسطورة، لذا يجب على علماء الاجتماع أن يأخذوا جانبا ما في الصراعات الاجتماعية، علاوة على ذلك فإنه في ضوء كون غالبية البحوث الاجتماعية تخدم مصالح جماعات مهيمنة، فإنه من واجب عالم الاجتماع أن يأخذ جانب الطرف الأضعف مثل المنحرفين المهمشين.

رابعا– آرلي رسل هوشيلد والعمل العاطفي:

من بين علماء الاجتماع الذين قاموا بعمل نظري جاد حول العواطف، العالم البارز آرلي رسل هوشيلد Arli Russul Hochischildلقد اعتبرت في الحقيقة مؤسس حقل فرعي في علم الاجتماع، وهو علم اجتماع العواطف، ولدت هوشيلد في عام 1940 وحصلت على درجة البكالوريوس من سوار ثمور Swarthmore، حصلت على درجة الماجستير والدكتوراه من كاليفورنيا في بيركلي، بعد سنتين من جامعة كاليفورنيا في سانتا كروز بدأت التدريس في جامعة بيركلي حيث هيا الآن أستاذ علم الاجتماع، ويعد كتابها " القلب المروض: للإتجار بالمشاعر الإنسانية " (The Managed Heart : Commercialization of Human Feling) عملا طليعيا. وكما توضح هوشيلد في سيرة ذاتية حديثة أن " فكرة تناول العالم العواطف والمشاعر صار بجدية مع استمرار تناول خبرات المرأة والتصورات العامة لتلك الخبرة".

وعلى الرغم أنه لا ميد Medولا بلومر Bloomerطور نظرية في العواطف، إلا أن هذه النظرية الاجتماعية الجديدة، في جزء منها تمثل امتداد للمنظور التفاعلي الرمزي، انطلقت هوشيلد من عدد من المنظرين بما في ذلك ديويDewey، جوفمانJoffman، وفرويدFreud وتشير هوشيلد إلى أن كل من جوفمان وفرويد قدم وجهة نظر محدودة للعواطف بالنسبة لجوفمان فقد تخصص في دراسة الارتباك والخجل، بينما تخصص فرويد في تحليل القلق، وبالمقابل فإن نظرية هوشيلد تشمل المدى الكلي للعواطف، فهي تتضمن الحزن والكآبة، والإحباط، والغضب، والخوف، والخزي والعار، والذنب، والألم، والحسد، والغيرة والحب، والشفقة، والارتباك، والخجل، والقلق.

تحاول هوشيلد الإجابة على هذه الأسئلة من خلال التركيز بشكل محدد على تعريف العمل العاطفي على النحو التالي: "استخدم مصطلح العمل العاطفي ليعني إدارة المشاعر من أجل خلق عرض للجسد والوجه بحيث يكون ملاحظ وباديا للعيان، إن العمل العاطفي يباع بثمن ولهذا فإن له قيمة تبادلية، إنني أستخدم المصطلح المرادف العمل العاطفي أو الإدارة العاطفية للإشارة إلى تلك التصرفات المتشابهة في سياق خاص حيث يتم استخدام القيمة". تشترك المهام التي تستدعي العمل العاطفي بثلاث خصائص:

1- ينبغي على العامل أن يجري اتصالا وجها لوجه أو صوتا لصوت مع الجمهور.
2- يطلب من العامل أن ينتج صيغة عاطفية في الشخص الآخر مثال الامتنان أو الخوف.
3- يسمح لصاحب العمل أن يمارس درجة من السيطرة على النشاطات العاطفية للعمال.

كما أجريت أرلي هوتشيلد بحثا في الوسائل التي يدير بها الأفراد عواطفهم، ولكنها تؤكد أن لهذه العواطف جذورا جسدية ونفسية مهمة، فما يطلق عليه صفة المشاعر" الحقيقية" التي لا يتم كبحها" تعطي الأفراد فهما قيما لعلاقتهم مع العالم وتوقعاتهم عنها، كما توجههم إلى الكيفية التي يجب عليهم التصرف بها. بيد أن الأفراد معرضون كذلك للضغوط من قبل المجتمع، وذلك من خلال " القواعد الشعورية" التي تملي عليهم ما يجب أن يشعروا به في مواقف معينة كالنجاح، وقد يحاول الأفراد الامتثال لهذه القواعد من خلال بذل بعض " العمل العاطفي" الذي يتضمن طاقة نفسية و/أو بدينة، في " إدارة وترويض " مشاعرهم الحقيقية لتحقيق الاتساق بها، وهذا العمل العاطفي يمارسه الأفراد على أنفسهم أو على الآخرين، أو قد يمارسه الآخرون على الفرد، ويتم التعبير عنه من خلال مستويات مختلفة من التصرف (Acting).ويتضمن " التصرف السطحي" مجرد التظاهر الضحل بإبداء العاطفة لصالح الآخرين، أما في " التصرف العميق" فيعمل الأفراد على " مشاعرهم الحقيقية" من اجل محاولة تغييرها.

تعلمت هوشيلد بأن الكفاح من أجل الإبقاء على الاختلاف بين الشعور والتظاهر، يقود إلى إجهاد وتوتر الناس في المهن التي تستدعي عملا عاطفيا، وقد أطلقت على هذا الإجهاد والتوتر "التشتت العاطفي". تصرح هوشيلد إننا نحاول اختزال هذا التوتر عن طريق تغيير ما نشعر به أو تغيير ما نتظاهر به. ينخرط التشتت العاطفي في إدارة المشاعر التي اكتشفت هوشيلد أنها تعمل على إعادة صياغة نظرية التشتت الإدراكي، بحيث توسع حدودها لتشمل التشتت العاطفي كذلك.

وكامتداد لجهود هوشيلد المبذول من أجل إلقاء الضوء على العواطف،بهدف فهم أفضل للتفاعل الاجتماعي في الحياة اليومية، ألفت الكتابين التاليين وهما: " التحول الثاني: الأبوين العاملين والثورة في البيت"، و" ربط الوقت: عندما يصبح مكان العمل البيت ويصبح البيت مكان العمل". في كتابها التحول الثاني، تحلل كيف يدير الوالدين العاملين عواطفهما عندما يجربان الضغط الناتج عن التشارك في تربية الأبناء وتدبير الشؤون المنزلية في تحولهما الثاني، داخل البيت، وجدت هوشيلد أن معظم النساء يكن ممنونات إذا شاركهن أزواجهن على الأقل بعض الأعمال الأقل قيمة في التحول الثاني. وفي كتابها أكثر حداثة الموسوم " الاتجار بالحياة الحميمة" عام 2003، تنظر هوشيلد إلى الأمهات اللواتي هاجرنا من العالم الثالث إلى العالم الأول بحثا عن العمل إنما لأن أزواجهن قد هجرنهن، أو هربا للإساءة معاملتهن في الحياة الزوجية، وباعتبارهن

يتولين الإشراف على البيت في غياب الزوج فإن هؤلاء الناس حولن وقتهن وطاقاتهن لرعاية أبنائهن، وكما أشارت إحدى الأمهات:" الشيء الوحيد الذي يمكن أن تقومين به هو أن تنمحي كل ما تمتلكين من حب للطفل الذي تربيه، في غياب عن أبناء، أكثر ما يمكن أن أفعله في موقف أن أمنح كل حبي لذلك الطفل". وتصف هوشيلد هؤلاء النساء بقولها: إنهن يشاركنا في ازدراع القلب العالمي. بالإضافة إلى الدراسات حول" الجغرافيا العاطفية" في مكان العمل، تدعو هوشيلد إلى توسيع الجهود البحثية وتكتب هوشيلد " أعتقد أننا نستطيع تطبيق منظور علم اجتماع العواطف على قضايا اليوم المختلفة، وذلك كمحاولة لدفع وإبراز الحقول النظرية الجديدة في علم الاجتماع، ولتوضيح القصة الإنسانية غير الجديرة بالسياسة الاجتماعية".

إن علماء الاجتماع الذين يفضلون البحث الكمي، رغم ذلك يميلون من التقليل من قيمة عمل هوشيلد لأن نتائجها لم ترتكز على مسح قومي للآباء العاملين. أحد أصحاب الانتقادات اقتبس من آخر مسح قومي يكشف أن الرضا عن العمل لم يتناقض في الولايات المتحدة، ومع ذلك فقد سلم بأن هناك قيمة في منظورها، لأن دراستها كشفت أن الرعاية الجيدة اليوم، وسياسات أخرى من أجل دعم الأسرة العاملة لم تعد كافية ويقول: بإظهار كيف أن تلك المشكلات مستمرة حتى بين أكثر الأجزاء تقدما في أمريكا المتحدة ساهمت هوشيلد في فهمنا التحديات الباقية في حل الصراعات بين متطلبات العمل ومتطلبات العائلة .

خامسا–باتريشا هل كولينز والفكر النسوي الأسود:

حصلت باتريشا هل كولينز (Patricia Hill Collins)، على درجة البكالوريوس من جامعة براندیس في عام 1969 والماجستير من هارفرد عام 1970، والدكتوراه في علم الاجتماع من براندیس في عام 1984 وهي الآن أستاذ مشارك في قسم الدراسات الإفريقية الأمريكية بجامعة ساينساتي، وكتابها الموسوم "الفكر النسوي الأسود: المعرفة والوعي وسياسات التمكين"، يمثل كما توضح "مرحلة واحدة في كفاح المستمر لاستعادة صوتي"، كتابها أكثر حداثة يحمل عنوان: " السياسات الجنسية السوداء: الأمريكان الإفريقيين، والجندر، والعرقية الجديدة" وقد قدمت الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع جائزة جيس برنارد إلى باتريشا هل كولينز ودوروثي سميثDorothy Smith في عام 1993 بمناسبة استذكار عملها الجدير بالعلماء والذي وسع آفاق علم الاجتماع ليشمل دور المرأة في المجتمع بكل ما في الكلمة من معنى.

يمثل كتاب الفكر النسوي الأسود لـ كولينز محاولة للامساك بالارتباطات المتداخلة للعرق، والطبقة الاجتماعية والجندر، بالاستناد إلى خبرات المرأة الإفريقية الأمريكية المستقاة من الأدب الذي كتب عن المرأة بكتابتها عن ذاتها، وتؤكد كولينز بأن مصالح واهتمامات الذكور البيض تجتاح محتوى الكتابات في الثقافة التقليدية والعلم، ونتيجة لذلك " فإن خبرات المرأة السوداء في مجال العمل، والأسرة، والأمومة، والنشاط السياسي والسياسات الجنسية تم تشويهها روتينيا في الخطاب الأكاديمي التقليدي أو تم استبعادها منه. لذلك تصرح: " لدعم تحليلي أوثق القليل من الإحصائيات وبدلا من ذلك اعتمد على أصوات المرأة السوداء من جميع مسارات الحياة".وتوضح كولينز، بأن موضوعها جاء من أجل تطوير إطار معرفي يمكن أن يستخدم في تقييم الفكر النسوي الأسود الموجود، ولتوضيح بعض الافتراضات الأساسية التي تعيق تطور الفكر النسوي الأسود، إن تعريف المعرفة يتضمن دراسة طبيعية وأساس المعرفة، خصوصا بالإشارة إلى محدداتها ومصداقيتها المتضمنة في الأبعاد الأربعة لمعرفة كولينز النسوية المركزة إفريقيات، وهي:

1- الخبرة الواقعية كمعيار للمعنى.
2- استخدام الحوار في تقييم الادعاءات المعرفية.
3- أخلاق الرعاية والاهتمام.
4- أخلاق المسؤولية الشخصية.

تنطلق كولينز ، مثل جوفمان، من مصادر متنوعة بما في ذلك السير الذاتية، والرواية لإيضاح مفاهيمها، مثلا، تستخدم الطقوس الدينية لكنيسة السوداء التقليدية لإيضاح الطبيعة التفاعلية للأبعاد الربعة جميعها، وتوثيق انتشار استخدام نموذج خطاب التلاوة والاستجابة في تلك الطقوس الدينية كإيضاح لأهمية الحوار. حيث توضح كولينز بأن طقوس الكنيسة تلك تمثل " أكثر من حوار بين العقلانية المستخدمة في اختبار نصوص وقصص الكتاب المقدس والعاطفة الملازمة لاستخدام العقل لهذا الغرض"، وتوضح بأن العقلاني بالنسبة لمثل هذه الحوارات " يتضمن مهمة اختبار الخبرات الواقعية بالنسبة لحضور أخلاق الرعاية" وتستنتج كولينز بأن العاطفة، والأخلاق، والعقل تستخدم كمكونات ذات ارتباطات متداخلة وأساسية في تقييم الادعاءات المعرفية في تلك الطقوس الدينية.و إن هذا الإيضاح يلقي بعض الضوء على محددات " موقف الكلام المثالي" لدى هابرماس Habermas، لإن استجابات المستمع في نمط الحوار الإفريقي- الأمريكي ليست محددة في حقل العقلاني، وبدلا من ذلك فان السلسة الكاملة للعواطف من الحب إلى الحزن إلى الكراهية متضمنة كذلك.

توضح باتريشا هل كولينز بأنها لم تؤسس تحليلها على تقليد نظري واحد، ورغم ذلك، يستطيع المرء أن يستنبط بسهولة المقدمات المنطقية الكلاسيكية الثلاث لدى بلومر Bloomer، حينما تدون تصرف المرأة الأمريكية على أسس المعاني، واكتشاف المعنى في التفاعلات مع الآخرين، وانخراطهم في عملية تفسيرية في مواجهاتهم اليومية. إن المفهوم الأساس في عمل باتريشا هل كولينز والذي يعد مركزيا بالنسبة للمنظور التفاعلي الرمزي هو تعريف الذات للمرأة الإفريقية الأمريكية، تتضمن عناصر تعريف الذات هذا، الثقة بالذات، وتقدير الذات، والاستقلال، تربط كولينز انبثاق تعريف الذات هذا برفضهن ضبط وتوجيه صور المرأة الإفريقية الأمريكية التي تأصلت خلال حقبة العبودية: أمهات مربيات لأطفال البيض، ونساء يرأسن أسرهن، وأمهات الرفاه والخدمة الاجتماعية، والمرأة ذات السمعة المشوهة جنسيا.

وتبين كولينز بأن الصور المنضبطة والموجهة للأنوثة السوداء " صممت لإظهار أن العرقية الجنسية، والفقر، جميعها طبيعية، وعادية، وجزء لا يمكن تجنبه من الحياة اليومية... إن مثل هذه الصور... لا تبقي المرأة السوداء خاضعة ومظلومة فقط، لكنها أساسية في الحفاظ على الأنساق المتشابكة للظلم العرقي، والطبقي، والنوع الاجتماعي. وتناقش كولينز ثلاثة عوامل أدت إلى رفض تلك الصور الموجهة: علاقة النساء السود مع بعضهن البعض، وتقليد القميص الفضفاض الذي ترتديه المرأة السوداء، والتأثير المنبثق لمن يكتبون عن المرأة السوداء والذين قدموا تعريفات بديلة، تقدم كولينز مثالا لرفض دور المربية الزنجية للأطفال البيض من بحث بوني ثورنتون دل Bonnie Thornton Dill حول أنماط تربية الأطفال بين ربات المنازل السوداوات، إن المشاركات في دراسة دل شجعن أطفالهن على تجنب العمل المنزلي، ولم يشعنهم على الاعتقاد بأنهم مختلفين عن البيض.

يتضمن عمل كولينز، مثل زمل، عناصر من التفاعلية الرمزية وكذلك من نظرية الصراع، مثلا، تعتبر مفاهيم السيطرة والخضوع مركزية بالنسبة لتحليل كولينز لظلم المرأة الإفريقية الأمريكية، وتصرح كولينز: " لقد حاولت فهم الفكر النسوي المركز إفريقيا كما هو قائم في سياق السيطرة، وليس كنسق من الأفكار المكتشفة في الواقع السياسي والاقتصادي، لقد اختبرت وجهة نظر المرأة الإفريقية الأمريكية الخاضعة كما هي قائمة من اجل فهم الفكر النسوي الأسود كمنظور جزئي للسيطرة". وتصرح كولينز بأن " المرأة الإفريقية الأمريكية رفضت بصورة علنية نظريات القوة التي ترتكز على السيطرة من اجل الإمساك برؤية بديلة للقوة ترتكز على رؤية إنسانية لعقلانية الذات، وتعريف

الذات، وتحديد الذات. وتشير إلى الولادة الحديثة لفكر النسوي الأسود ضمن مؤسسات من قبيل المدارس، والكنائس ووسائل الإعلام، وتدفق الفكر النسوي الأسود في التاريخ والأدب الذي يتحدى مباشرة الفكر الذكوري المركز أوروبيا والذي ينتشر في تلك المؤسسات.